أسرار الجمال في نظام الكتابة العربية

أ. د. سام عمار
أستاذ المناهج وطرائق تدريس اللغة العربية
في كلية التربية بجامعة دمشق

1. مقدمة

يجهد هذا العمل في أن يبيّن للقارئ والمستمع الكريمين أن في اللغة العربية من الأسرار الجمالية والخصائص الإبداعية ما يسمح لنا بأن نصفها بالمتميزة والمتفردة والعبقرية. وفيما يأتي بيان ذلك.

2. تعريفات ضرورية لفهم ما سيأتي

1.2. الكتابة العربية

- تعني في هذا البحث: **نظامَ علامات خطيّة (تُرسَم بموجبِهِ الأشكال المرئية للأصوات المنطوقة، في هيئة حروف تتآلف في صيغة كلماتٍ) تُجسّد المعاني الماثلة في الذهن، طِبقًا لنظام اللغة العربية في التعبير.**
- **وفي صورة أكثر تقييدًا، يمكننا أن نوحّد بين معنيَيْ: نظام الكتابة العربية والإملاء بالمعنى الواسع، لنشير عند ذاك إلى: كيفية كتابة الكلمات بمقتضى نظام الكتابة العربية (الرسم الخطيّ الخاصّ باللغة العربية، وتبعًا للعلاقات المختلفة القائمة مع الأنظمة الأخرى لهذه اللغة (النحوي والصرفي والمعجمي).**
- وبتطبيق هذا التعريف على اللغة العربية نجد أثر **التغيّرات الصرفية النحوية** في كتابة الكلمات على شاكلة محددة: إن جزم المضارع المعتل الآخر، طبقًا لهذا التعريف، يقتضي حذف لام الفعل في مثل: **(لم يرمِ، ولم يسعَ، ولم يدنُ)**؛ واشتقاق المضارع من الماضي المثال الواوي يقتضي حذف فاء الفعل في مثل: **(يرثُ ويعِد، ويقِف)**؛ واشتقاق الأمر من المضارع الثلاثي اللفيف المفروق يقتضي حالتي حذف: **صَرفي** لفاء الفعل، و**نحوي** للامه، فيبقى الفعل على حرف واحد في مثل: (**إ**ِ يا سعيد وأيا صادقًا، و**قِ** يا ناصر نفسك من الأذى). وإذا جاء هذا الفعلان في آخر الجملة أُلحقت بهما هاء السكت؛ ليمكن الوقف عليهما، فيطرأ عليهما، بسبب الوقف، **تغير ثالث: إملائيٌّ**، في مثل: (يا سعيد **إِه**)، و(نفسك يا ناصر **قِه**).

2.2. الكلمة في نظام الكتابة العربية

- يقسم نحاةُ اللغة العربية الكلام إلى: اسم وفعل وحرف. وغنيٌّ عن البيان أن **الحرف** هنا **لا يعني الرسم الخطي المجسِّد كتابيا لصوت واحَد بعينه** (ثمانية وعشرون حرفا أبجديا مقابل ثمانية وعشرين صوتا). **إنه حرف يحمل معنى، ويؤدي وظيفة في الكلام** (ومن هنا كان حديث اللغويين والنحويين عن **حروف المعاني**).

- **إن الحرف، باعتباره القسم الثالث من أقسام الكلام، هو ما حمل معنى وأدى وظيفة في الكلام الذي يرد فيه،** كحرف الجر مثلًا. **والكلام هنا (في العرف اللغوي) يعني النصَّ الذي يؤدي معنى متكاملا، مهما صغُر حجمه. وأصغر وحدة نصّية هي الجملة المكونة من مسند ومسند إليه،** اسمية كانت أو فعلية، كقولنا: **(نجح المجدُّ)** أو **(المجدُّ ناجحٌ)**. والكلمة ضمن هذه الحدود قد تكون اسمًا أو فعلًا أو حرفًا، و**تتجلّى في حدها الأدنى في بنية صغرى غير قابلة للاختزال** (المصطلح والتعريف هنا من وضع الباحث). لقد سمى العالم اللغوي الفرنسي أندريه مارتينيه (André Martinet) هذه **البنية الصغرى** (monème) وعرّفها بأنها: "**أصغر وحدة لغوية حاملة لمعنى في الجملة، وقابلة لأن تكون، بذاتها، موضوعَ اختيار من المتكلم، على صعيد المحتوى**" (Martinet, 1967). أما علم اللسانيات التوزيعية الأميركيُّ فأطلق على ما أسميناه **بنية صغرى** اسم (morpheme)، وعرفها بأنها: "**علامة صغرى، أو أصغر صيغة لغوية حاملة لمعنى**" (Galisson et coste, 1983).

- **غيرَ أن الكلمة العربية في الاستعمال اللغوي تتفق حينًا مع هذين التعريفين، وتختلف عنهما أحيانًا حينما تضم معًا، إلى جانب هذه الوحدة المعنوية الصغرى، وحداتٍ أخرى مماثلة تشكّل في مجموعها المتّحد في كلمة واحدة، بنيةً لغوية كبرى أوسع وأبعد مدى في معناها ودلالتها.**

- **وهذه الكلمة العربية في بِنيتَيْها: الصغرى والكبرى تُستعمَل في الخطاب الشفويّ وفي الخطاب المكتوب.**

- **والكلمة المكتوبة** طبقًا لنظام الكتابة العربية يمكن أن ينطبق عليها إذن التعريفان السابقان المُجمعان على أن الكلمة المكتوبة تُشكّل في حدها الأدنى **أصغرَ وحدةٍ لغوية حاملةٍ لمعنى** في ***بعض مكونات*** قولنا: *"يجبَ أن يتفق التربويون العرب على ضبط كتابة الهمزة المتوسطة"* ؛ وهذه المكونات هي الآتية: الفعلان (يجب، يتفق)، والاسمان: (ضبْط، كتابة)، والحرفان: (أن، على). *ولكنّ* ***التعريف لا ينطبق على بقية مكوناته***، وهي كلمات: (التربويون، العرب، الهمزة)؛ لأنها قابلة للاختزال بحذف (ال) التعريف منها جميعًا، وحذف علامة رفع جمع المذكر السالم ونون العِوَض عن التنوين في الاسم المفرد، من (التربويون). **إن هذه الأسماءَ الثلاثة يجب أن تنتمي إذن إلى *بِنيةٍ ثانية مختلفةٍ عن الأولى* سنطلق عليها مصطلح: *بِنيةٍ لغوية كبرى.***
- ومن أجل توضيحٍ أكبرَ لبعض أشكال هذه **البنية الثانية الكبرى** **تقدم المثل الآتي**: "رأيتهم يتعاونون في إنجاز عمل أُسنِد إليهم". لقد خرجت ثلاث كلمات في هذا النص على تعريفَيْ البنية الصغرى، السابقين، وهي:
1. **كلمة (رأيتُهُم)**، التي تشكل تركيبًا لغويًا بحد ذاتها مكوَّنًا من: فعلِ ماضٍ (رأى)، وفاعلٍ (ضمير الرفع المتصل به)، ومفعولٍ به (هاء الغائب)، وعلامةِ جمع الذكور العقلاء(الميم).
2. **وكلمة (يتعاونون)**، التي تشكل هي الأخرى تركيبًا لغويًا آخر مكوَّنًا من: الفعل المضارع (يتعاون)، والفاعل (واو الجماعة)، وعلامة رفع الأفعل الخمسة (النون).
3. **وكلمة (إليهم) المكونة من اسم مجرور** (هاء الغائب، وهي ضمير متصل مبني في محل جر) بحرف الجر، وحرفين هما: (إلى: حرف الجر، والميم: علامة جمع الذكور).

- إن تعريف **الكلمة** في اللغة العربية، من حيثُ هي **لفظةٌ منطوقة** أو من حيثُ هي **هيئةٌ مكتوبة**، ينبغي أن يكون إذن **أوسعَ من تعريفها البِنيويّ الوصفيّ بأنها: أصغرُ وحدةٍ لغوية حاملة لمعنى؛ لأن الكلمة في اللغة العربية قد تضم تركيبًا متكاملًا، يشمل عدة وحدات معنويةً صغرى.** وهذا يعني أن للنظام الكتابي قواعدَه وأصولَه وأساليبَه المتعارف عليها والمعمول بها، التي أضفت على الكتابة العربية خصائص جمالية إبداعية. ولكنها أورثته كذلك مشكلات ذات صبغة إملائية، تستدعي التأمل والتمحيص.
- **وهذه القواعد الإشكالية على صعيد الخطاب المكتوب لا نواجهها في الكلمات عينها على مستوى النطق أو الخطاب الشفوي. ولهذا وجب علينا أن نقدم تعريفًا محدَّدًا بدقة للكلمة المكتوبة في اللغة العربية.**

3.2. الكلمة المكتوبة في نظام الكتابة العربية

- نُعرّف الكلمة العربية المكتوبة في هذا البحث بأنها: **وحدة معنوية خطية يحدُّها من الجانبين: اليمين واليسار، فراغٌ (مسافةِ واحدة بيضاء، أي مسافة لا كتابة فيها، على الورق أو سواه من أدوات الكتابة أو الطباعة)**، ولن يحسب فيها الحرف المضعّف (المدغم) سوى حرف واحد؛ لأن الحرفين المدغمين يبقيان رسما على حرف واحد، ولا يشغلان سوى حيز مكاني واحد، **ويعبَّر عن هذه الظاهرة بالشَّدَّة التي تأخذ مكانها فوق الحرف، فتضفي عليه مسحة من الجمال الشكلي، ولا تأخذ حيّزا على السطر.**
- وعلى أساس هذا التعريف، يمكن للكلمة المكتوبة أن تكون، أحيانًا، أصغر وحدة لغوية حاملة لمعنى، مثل: (أن)، أو (علم)، أو (قراءة)؛ ويمكن أن تكون، أحيانا أخرى، شاملة لتركيب متكامل متناسق يضم معا عدة وحدات لغوية صغرى حاملة لمعنى، مثل: (رأيتهم).
- **ولكنَّ بنية الكلمة العربية المكتوبة قد تصل في أقصى حدودها الممكنة التكوين إلى اثنتي عشرة وحدة لغوية صغرى حاملة لمعنى**، كما سنبين ذلك في القسم الأخير من هذا البحث.
- وهذه **الخاصية الفريدة** للغة العربية في تكوين الكلمات يُفْتَرَضُ أن تكون وحدَها كافيةً لوصفها **بالعبقريّة والعملاقة، فليس لها مثيل في لغات العالم كله.**
- ويبقى هذا التعميمُ صحيحًا إلى أن يتمكّن باحثٌ آخرُ من ضحده.

4.2. البنية الصغرى للكلمة المكتوبة في اللغة العربية

- نقصد **بالبنية الصغرى (المصطلح من وضع الباحث)** للكلمة المكتوبة في اللغة العربية، اسمًا كانت أو فعلا أو حَرفًا: **الحدَّ الأدنى من الحروف، الذي تتكون منه الكلمة في شكلها الخطي (فلا تحسب فيه الحروف الموجودة أصلا في بنية الكلمة، التي حذفت بفعل عامل نحوي أو صرفي، أو سواهما، بل تحسب فقط الحروف التي لها مَقابل في الميزان الصرفي، الذي هو، عندنا، معيار ضبط بنية الكلمة)، ولا يمكن اختزال هذا الحد الأدنى من الحروف (في الأسماء والأفعال) إلى ما هو أدنى منه من دون أن يتغير المعنى أو يفقد.**
- **مثال ذلك الأسماء كلُّها، مجردةً أو مزيدةً، والأفعال كلُّها، مجردةً أو مزيدة (لا زيادة على بنية حرف المعنى الصغرى)**؛ فأحرف الزيادة تلازم **الاسم أو الفعل**، في حالة الزيادة وتمنحه معنى مختلفا عنه في حالة التجرد منها: إن المعنى الذي يحمله الاسم: محمود (المزيد بميم وواو) غير المعنى الذي يحمله مصدره (حمدا)، ومعنى الفعل: استقبل (المزيد بالألف والسين والتاء) غير معناه مجردا منها.
- ثم إننا نستطيع مثلا أن نستبدل بضمير النصب المتصل بالفعل، الاسم الأصل الذي عاد عليه الضمير كقولنا: "صادقت خالدا وفضلته **(خالدا)** على كثيرين"، ولكننا لا نستطيع أن نستبدل بحرف الزيادة أيَّ شيء آخر.
- **من أمثلة البنية الصغرى في الأسماء**: (هند، ومحمود، وشجرة، وقاسم، وفاروق، وهوازن، وناقوس)، ومن **أمثلتها في الأفعال**: (كتب، وكافح، واستقبل، ورأى، ويئي، والأمر منه: إِ).

5.2. البنية الكبرى للكلمة المكتوبة في اللغة العربية

- نعرّف البنية الكبرى (المصطلح من وضع الباحث) للكلمة المكتوبة في اللغة العربية في هذا البحث بأنها: **البنية الصغرى، اسما كانت أو فعلا، أو حرفا، مضافا إليها الزوائد كلُّها، التي هي في الأصل وحدات لغوية صغرى حاملة لمعنى. وقد سبق أن رأينا أمثلتها في كلمات: (رأيتهم، ويتعاونون، وإليهم).**
- وقد تكون هذه الزوائد **سوابق**، مثل: همزة الاستفهام و(ال) التعريف، ولام الأمر، واللام الجارة، في المثالين الآتيين: (أكتب سمير الوظيفة؟)، و(ليحضِّر للامتحان جيدا)؛ كما تكون **لواحق**، مثل: تاء الفاعل، وهاء الغائب، وميم جمع الذكور ونون الوقاية وياء المتكلم، في المثال الآتي: (ساعدتهم في عملهم حرصا منِّي عليهم). وقد تكون **سوابق ولواحق في آن معا**، فالسوابق مثل همزة الاستفهام، واللواحق مثل: كاف الخطاب، وميم جمع الذكور، والواو الوصلية (سنتحدث عن هذه الواو في الفقرة 7/3)، وهاء الغائب، والألف الدالة على المؤنث، في **الكلمة المكتوبة: (أنلزمكموها؟)** الواردة في الآية 28 من سورة هود، ونصها: "قال يا قومِ أرأيتم إن كنت على بيِّنةٍ من ربي وآتاني رحمةً من عنده فعمِّيت عليكم **أنلزمكموها** وأنتم لها كارهون" (سورة **هود**، الآية 28).
- نلاحظ هنا أن هذه **الكلمة المكتوبة: (أنُلزمُكُموها؟)** قد ضمت في تركيبها أقسام الكلام الثلاثة (حسب تصنيف النحويين العرب لأقسام الكلام إلى: أسماء وأفعال وحروف، سبق أن عرّفناها في الفقرة (2.2) بأنها: وحدات لغوية صغرى حاملة لمعنى) التي بلغ مجموعها فيها **ست وحدات**، ورد منها في صيغة **سوابق**: (همزة الاستفهام) **وفي صيغة لواحق**: (كاف الخطاب والميم: علامة جمع الذكور العقلاء، والواو الوصلية، وهاء الغائب، وألف التأنيث) اتصلت كلها بالفعل (نلزم) الذي **هو الوحدة النواة للكلمة** (سيرد تعريف النواة في الفقرة 6.2.).
- ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مصطلحَيْ (البنية الصغرى والبنية الكبرى) في بحثنا **مختلفان كليًّا** عن مصطلحَيْ (الجملة الصغرى والجملة الكبرى) اللذين يستعملهما النحويون لدى الحديث عن إعراب الجمل؛ فالبنية الكبرى هنا قد تكون جملة صغرى في مثل قولِنا: "**الفائزون** يُستَقبَلون دائمًا بالورود". إن جملة (يُستَقبَلون) التي هي بِنيةٌ كبرى جاءت جملة صغرى وقعت خبرًا للمبتدأ (الفائزون) الذي هو أيضًا بِنيةٌ كبرى، تبعًا لتعريفينا السابقين للبنيتين الصغرى والكبرى. أما الجملة المكونة من المبتدأ (الفائزون) والخبر (الجملة الفعلية: يُستَقبَلون) فهي في العرف النحوي العربي جملة كبرى.

6.2. النَّواة والنّصّ

- **نقصد بالنّواة الفعلَ (المجرد أو المزيد) أو الاسم (المجرد أو المزيد)، أو حرف المعنى، الذي تتصل به السوابق أو اللواحق، أو السوابق واللواحق معًا، فتتشكل منها جميعًا البِنية الكبرى للكلمة المكتوبة في اللغة العربية.** ومثالها: الفعل (نُلزم) في الكلمة المكتوبة: (**أنلزمكموها؟**)، أو الاسم (ربِّ) في الكلمة المكتوبة: (**ربِّكما**)، أو الحرف (على) في الكلمة المكتوبة: (**عليهِم**).

- ونَعني بالنّص في هذا البحث: "**المعنى الذي ينطبق على الكلام في اصطلاح النحويّين، والذي يعني جملةً مفيدةً، أو تركيبًا يحمل معنى محدَّدًا، في حدِّهما الأدنى**". ولكنه قد يتسع ليصير فقرة، أو مقالًا، أو فصلًا في كتاب، أو كتابًا،.. إلخ، في حدِّه الأعلى.

- والكلام في حده الأدنى يتكون من **جملة استوفَت ركنيها الأساسيين**: المسندَ والمسند إليه، وأدت معنى مكتملًا، كقولنا: "**أشرقت الشمسُ**" أو "**الشمسُ مشرقةٌ**". **ولكن الجملة التي استوفت ركنيها الأساسيين لا تكون كلامًا عندما لا تؤدي معنى مكتملًا**، كجملة الشرط (إن تجتهدْ) في قولنا: "إن تجتهدْ تنجحْ". **إن اكتمال المعنى هو ما يميّز الكلام من الجملة** (**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، لابن هشام، الجزء الثاني).

3. سمات جمالية في نظام الكتابة العربية

1.3. سَمة الاختزال

- نَعني بهذه السِّمة الجمالية: **ما يعتري البنيةِ الصغرى للكلمة المكتوبة (اسمًا كانت أو فعلًا أو حرفًا) أو الكبرى، مِن حذف سببته علة صرفية أو نحوية، أو هما معًا، أو ضرورة شعرية (قصر الممدود)، أو إضمار، أو إدغام، أو عرف في الاستعمال.**
- وسمَةُ الاختزال الجمالِيةُ هذه تجعل حجم النص المترجَم إلى اللغةِ العربية أصغرَ **من الأصل الأجنبي** الذي تُرجِم عنه، وتجعل بالمَقابل **النص المترجم عن اللغة العربية إلى لغة أخرى** أكبر حجما. وظواهر الاختزال في العربية خمسة، هيَ:

1. ظاهرة الضمير المستتر، **الذي قد يكون فاعلًا أو نائب فاعل أو اسمًا لفعل ناسخ.** إنه موجودٍ وظيفيا، ولكنه لا يشغل حيزًا مكانيًا في النص، لأنه مستتر؛ والضمير المقدَّر، ومثاله ضمير الشأن (إنّ مِنْ أشدِّ الناسِ عذابا يوم القيامة المصوِّرون).
2. ظاهرة اشتمال النظام اللغوي العربي على عدد كبير من الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى (أسماءً كانت أو أفعالاً أو حروفًا) التي تقوم بِنيتها الكتابية على حرف واحد.

- **وهذه الوحدات الصغرى الحاملة لمعنى، التي تقوم بنيتها الكتابية على حرف واحد، غيرُ قابلة للحياة والاستعمال، مستقلةً بنفسها في نظام اللغة العربية إن كانت أسماء، ونقصد بها الضمائر المتصلة كلَّها** (في محل رفع كانت أو في محلٍ نصب أو جر)، أو كانت حروفًا، ونعني بها حروف المعاني التي تبلغ، إن صنفت باعتبار شكلها ورسمها، ثلاثةَ عشر حرفًا، هي: الهمزة والألف والباء والتاء والسين والفاء والكف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء.
- فإن صُنفت هذه الحروف باعتبارِ وظيفتها جاوزت الأربعين نوعًا. وسنورد **مثالًا واحدًا** لتنوع تسمياتِ حرف المعنى الواحد بتنوع وظائفه اللغوية. فالواو مثلا تأتي (في أبرز وظائفها) **للعطف أو الاستئناف أو الاعتراض أو القسم أو الحال أو المعية.**

- وقد أضاف الباحث بنتيجة الاكتشاف، إلى وظائف حرف الواو هذا، **وظيفةً سابعةً لم يوردها ابن هشام في المغني، ولم يجد لها الباحث تصنيفًا عند سواه من النحويين الذين قرأ لهم، وهذه الوظيفة هي:** الوصل في مثل قوله تعالى: "أَنُلْزِمُكُمُوهَا" (هود، 28) أو "فَأَسْقَيْنَاكُمُوه" (الحجر، 22). وسنتحدث عنها بالتفصيل في الفقرة الأخيرة من هذا العمل.
- ولعلَ من المفيد هنا أن نضيف (من وجهة نَظر منهجية تصنيفية شكلية محضة هي: الحصر الشامل لوظائف الواو) وظيفتين أخريين للواو: ثامنةً، وهي مجيئُها علامة رفعٍ للأسماء الخمسة، وتاسعةً، وهي مجيئِها علامة رفعٍ لجمعِ المذكر السالم؛ **لأن هذه الواو في هاتين الحالتين تؤدي وظيفة محددة هي الدلالة على الرفع بدلا من الضمة. ونذكرها هنا بهاتين الوظيفتين؛ لأنها تترك أثرا ماديا خطيا هو حرف الواو الذي يأخذ حيزًا مكانيا في بِنية الكلمة الكتابية، خلافًا للضمة التي تستقر فوق الحرف إن رُسمت، ولا تظهر إطلاقًا إن استغنِي في الكتابة عن التشكيل.** وهي في كلتا الحالتين **لا تشغَل حيزا مكانيا** في بِنية الكلمة الكتَابية (عدد حروفها).
- **وهذان النوعان من الوحدات المعنوية الصغرى التي تقوم بنيتها الكتابية على حرف واحد (الضمائر المتصلة، وحروف المعاني) لا تُستعمل إلا متصلة بالكلمة النواة.**
- أما **الفعل** (وهي النوع الثالث من الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى التي تقوم بِنيتها الكتابية على حرف واحد) **فتتمثّل في صيغة الأمر من الفعل** اللفيفة **المفروقة، وهي قابلة لأن تُكتَب كلمةً مستقلةً، إن وقعت في دَرْج الكلام،** كقولنا: "يا خالدُ **ق** نفسَك من الأذى". فإن جاءت في نهاية الكلام، كقولنا: "يا خالدُ نفسَك **قِهْ**"، وجب أن تليَها موصولةً بها هاءُ السَكتِ، لتعذّر النطق بها موقوفًا عليها، فيُؤتى بهاء السكت ليُوقَفَ عليها ويُسكَت.
- **إن هذا العدد الكبير جدًا من الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى يَمنح اللغة العربية حيوية، ورشاقة، ومرونة، وغزارة، وتنوعًا في صوغ الكلمات من جهة، وفي بناء التراكيب اللغوية من جهة أخرى.**

3. ظاهرة الحذف

- **الحذف** هو: إسقاط حرف أو أكثر من بِنية الكلمة المكتوبة: الصغرى أو الكبرى. **وسببه قد يكون صرفيا أو نحويا، أو نحويا صرفيا، أو عُرْفًا في الاستعمال. وقد يكون ضرورة شعرية. ويكون الحذف في البِنية الصغرى كما يكون في البِنية الكبرى.**

1.3. الحذف في البنية الصغرى للكلمة المكتوبة

1. **من أمثلة الحذف في الضرورة الشعرية: قصر الممدود**، كما في كلمة: صنِعا (والأصل صنعاء) في قول الشاعر:

لا بدّ من **صنعا** وإن طالَ السفر ولو تحنّى كلُّ عود ودبر

2. **من أمثلته لعلة صرفية** حالة **الاسم المنقوص الذي تحذف ياؤه في حالتي الرفع والجر**، إن لم يكن مضافًا ولا معرفًا بـ(ال)، بسبب التقاء الساكنين، في مثل قولنا: "هذا **محامٍ**، ومررت **بقاضٍ**".
3. **أما الحذف لعلة نحوية** فمثاله حالة **الفعل المضارع الناقص إذا جُزِم**، كقولنا: "**لم أنسَ** صنيعَك، **ولم أرْجُ** المودةَ من جاحد، **ولم أُخْفِ** قلقي من المستقبل"، وحالة **الأمر منه**، في قولنا: "**ابتغِ** الخيرَ مما تصنع، **واتّقِ** اللهَ فيما تقول، **وادعُ** إلى الكلمة الطيبة".
4. **وأما الحذف لعلتين: صرفية ونحوية معًا**، فنموذجه **الأفعال اللفيفة المفروقة** (باعتبارها أفعالًا تجمع خصائص **المثال والناقص معًا**) **في حالة الأمر**، كقولنا: "**فِ** يا صديقي بما وعدتَ"، وهي **حالة**، بل **ظاهرة نموذجية مدهشة في الاختزال اللغوي**: إنها تصيب الأصل الثلاثي المجرد للفعل، فتحذف **فاءه ولامه**، وتبقيه على حرف واحد (هو عينه) **يستطيع الصمود متماسكًا، بصفته كلمة مكتوبة مستقلة**، إلا في حالة الوقف عليه في نهاية الكلام، لتعذّر النطق به موقوفًا عليه، فيؤتى **بهاء ساكنة** اخترعتها عبقرية العربي المذهلة، لتؤمّن اطّراد النظام المبدع لهذه اللغة العملاقة، كما في قولنا: "يا سعيد وعدك **فِهْ**".

- **والمبهر في هذه اللغة المبدعة أن الحرف: الفعل (فَ) ليس كلمة مكتوبة بحد ذاتها فحسب، بل هو نصٌّ: جملةٌ في حدها الأدنى مستوفيةٌ ركنيها الأساسيّين: المسند والمسند إليه. ولا نعتقد أن لغة بشرية أخرى تمتلك هذه الخاصية.**

5. **وقد يكون الحذف لعُرف في الاستعمال**، كحذف التاء في صيغ: **(تفعّل)**: "ويوم يأت لا **تكلّمُ** نفسٌ إلا بإذنه" **(هود، 105)**، **وتفاعَل** "**وظلّ** على الأيدي **تَسَاقَطُ** نفسُهُ" (ابن الرومي يرثي ابنه)، **واستفعل** "ما **لَطْاعُوا** أن يَظْهَرُوه **وما لَطْاعُوا** لهُ نَقْبًا" **(الكهف،97)**؛ وحذف الألف من **(لكنّ)**.

2.3. الحذف في البنية الكبرى للكلمة المكتوبة

- **يصيب الحذف بنية الكَلمة المكتوبة الكبرى عادة لعلة صرفية، أو نحوية، أو لعرف في الاستعمال.**

1. **من أمثلة الحذف لعلة صرفية في البنية الكبرى للكلمة المكتوبة،** حالة **الأفعال الناقصة التي تتصل بها واو الجماعة** (في صيغها الثلاث: الماضي والمضارع والأمر) أو **ياء المؤنثة المخاطبة** (في صيغتي المضارع والأمر)، كحذف الألف والواو والياء من الأفعال المضارعة (يسعى ويرجو ويبني) في المثال الآتي: "الخيّرون يسعون إلى الخير، ويرجون ثوابه عند الله، ويبنُون مجدهم بأفعالهم"؛
2. **ومن أمثلة الحذف لعلة نحوية، حالة المضارع في الأفعال الخمسة عند النصب والجزم،** كقولنا: "لم يتصرّفوا إلا بما يرضي الله، ولن يفعلوا إلا ما فيه الخير". ولكن الملاحَظ هنا أن الحرف المحذوف (نون الرفع) قد عُوِّض عنه **بالألف الفارقة**، ففقد الحذف بذلك قيمته الكمية، لا الجمالية.
3. **والحذف في البنية الكبرى لعُرْف في الاستعمال كثير جدا والقائمة فيه طويلة جدا؛ ولذلك سنورد من الحالات أشهرها:**

- **حذف الألف من آخر (ما) الاستفهامية إن سبقت بحرف جر**، كقولنا: (**بِم** فكرت؟ و**إلام** ذهبت؟ و**علام** استقرَّ رأيُك؟).
- **حذف الفعل في أساليب: الإغراء** (**الصّبر الصّبرَ**)، **والتحذير** (**الكذبَ الكذبَ**) **والاختصاص** (نحن **معاشرَ** الأنبياءِ لا نورثُ) **والاشتغال** (**كتابَكَ** قرأتُهُ)،
- **وحذف الفعل بعد أداة الشرط، يفسِّرُهُ ما بعدَه** "وإذا السماء **انشقَّتْ**" (الانشقاق، 1).
- **حذف المبتدأ أو الخبر وجوبًا في حالات محددة**، ولن نورد أمثلة على ذلك لضيق المكان.
- **حذف متعلق الحال والصفة والخبر إن كانت ظرفًا أو جارًا ومجرورًا، وهو كون عامّ**، ولن نورد أمثلة على ذلك لضيق المكان.
- **ما احتُفظ به من عرف في الكتابة لا يُقاس عليه**، في مثل: حذف همزة الوصل في البسملة (**بسم**)، ومن (**ها**) التنبيه في مطلع أسماء الإشارة، إن لم تفصل عنها بفاصل؛ وحذف أن الناصبة في قول العرب: "**تَسْمَعَ** بالمُعَيديّ خيرٌ من أن تراه"، وقول طرفة ابن العبد: "ألا أيّهذا الزاجري **أحضُرَ** الوغى".
- **إن ظاهرة الحذف هذه تشكل مزية جمالية تؤدي في مختلف الحالات السابقة، إلى اختزال كمي كبير في حجم مفردات النص المكتوب، يؤدي وظيفة (اختزالية) مبدعة تضفي على النص جمالاً ورشاقةً وتناسقًا قل نظيرُها، إن لم يكن منعدمًا، في لغات أخرى.**

4. ظاهرة الإدغام

- **الإدغام هو: الجمع بين حرفين من مخرج واحد، متماثلين كانا أو غيرَ متماثلين. وسنعالجه هنا من حيثُ هو مظهرٌ من مظاهر الاختزال، فلا نتناول منه إلا الإدغامَ المطّرد. وهو نوعان: إدغام المتماثلين، وإدغام المتقاربين. والإدغام في اللغة العربية ظاهرة جمالية تقلّص مساحة الكلمة المكتوبة.** فالحرفان المدغمان يبقيان رسمًا على حرف واحد، ويعبَّر عن الظاهرة بالشَّدَّة التي تأخذ مكانها فوق الحرف، فتضفي عليه مسحة من الجمال الشكلي، ولا تأخذ حيّزًا على السطر.

1.4. إدغام المتماثلَين في البِنية الصغرى للكلمة المكتوبة

إن النموذج الأشهر لإدغام المتماثلين في هذه الحالة هو **إدغام عين الفعل ولامه**، كما في الأفعال الآتية: "**مدَّ، ومرَّ، وعضَّ، وعفَّ**". ويكون في **صيغ الفعل الثلاث**: الماضي والمضارع والأمر، **وفي المصدر**. غيرَ أن الإدغام واجب الفك إن اتصل الماضي بالتاء المتحركة أو (نا) الدالة على الفاعلين، كما في: "**مددْتُ، ومررْتُ، وعففْت**" و"**مددْنا، ومررْنا، وعففْنا**"، وهو جائز في الأمر منه كما في: "**مُدَّ وامدُدْ، ومُرَّ وامرُرْ**"، وفي مضارعه المجزوم، كما في: "**لم يمدَّ، ولم يمددْ، ولم يمرَّ، ولم يمرُرْ**".

2.4. إدغام المتماثلَين في البِنية الكبرى للكلمة المكتوبة

- **من أمثلة هذه الحالة إدغام نون الوقاية بنون حرفي الجر (من وعن) لدى اتصالهما بياء المتكلم.** لقد جيء بنون الوقاية لتقيَ حركة حرف الجر الساكنة من أن تُكسر لتناسب الياء، ولتسهّل نطق الكلمة الجديدة، فأدى ذلك إلى توالى حرفين متماثلين، أولهما ساكن والثاني متحرك، فوجب الإدغام، وصارت الكلمتان: **(منّي وعنّي)**.
- **ومنها أيضاً إدغام نون ضمير المتكلم الدال على التثنية أو الجمع: (نا) بلام الفعل عندما تكون نونًا،** مثل:**(سَكَنَ)**، إن اتصل بها، كما في قولنا: "**سكنَّا** في بيت جميل".
- **ومن ذلك إدغام ضمير المفرد المتكلم، بلام الفعل عندما تكون تاء،** مثل: (صَمَتَ) لدى اتصاله بها، كما في قولنا: "**صَمَتُّ** عندما بدأ الخطيب يتكلم".
- **ومنه كذلك إدغام همزة الثلاثي المهموز الفاء بهمزة (أفعل) عند زيادتها على الفعل، مع المفرد المتكلم أو المخاطب، مذكَّرًا كان أو مؤنثًا،** وهو إدغام واجب، كقولنا: **(آمنتُ وآنستَ وآثرتِ)**. **ويجتمع الإدغامان** إن اتصل بالفعل (آمَنَ) ضمير المثنى أو الجمع المتكلم (نا)، كما في قولنا: "**آمَنَّا**".

3.4. إدغام المتقارِبَين في البنية الكبرى للكلمة المكتوبة

- من **أمثلته** **إدغامُ وحدتين لغويتين صغريين حاملتين لمعنى لتشكلا معًا بِنيةً كبرى**: (حرفُ معنىً آخره ألف مقصورة، وضمير المتكلم المفرد: الياء)، كما في: **(إلِي وعلَي وفِي)**. وهذا من باب **إدغام المتقارِبَين** في المخرج لا المتماثِلَين.
- **ومنه كذلك** **إدغام همزة الاستفهام بهمزة (ال) التعريف (الوصلية) التي تتصدر الكلمة التي تليها، بعد قلبها ألفًا، ليصبح مخرجُهما واحدًا. والإدغام هنا واجب**، كما في قولنا: "آلصّمتُ أبلغُ في بعض المواقف الصعبة أم الصراخُ؟". **إلا إذا حذفت همزة الوصل من (ال) التعريف لدى اجتماعها بهمزة الاستفهام قبلها**، فتكتب الهمزة عندئذ هكذا: "أَلصّمتُ أبلغ في بعض المواقف الصعبة أم الصراخ؟". والأمران جائزان. "وليس لقائل بأحد الوجهين تخطئة الآخر الآن"، على حد قول الأفغاني، وإن كان المدّ في رأيه أوضح (الأفغاني، 1971). أما في رأينا نحن، **فالمدّ أوضح وأجمل**.
- **ومثل هذه الحالة أيضًا إدغام همزة الفعل المهموز اللام بألف الاثنين إذا ما أسند الفعل إليها في مثل (نَشَآ). وهذا الإدغام ينبغي أن يكون هنا واجبًا أيضًا**، طبقًا لتعريف الكلمة المكتوبة الذي سبق أن تبنيناه، الذي يبين أن الوحدات اللغوية الصغرى الحاملة لمعنى، التي تقوم بنيتها الكتابية على حرف واحد، **غيرُ قابلة للحياة والاستعمال مستقلةً بنفسها في شكل كلمة، في نظام اللغة العربية إن كانت أسماء (ضمائر متصلة)، أو حروفًا؛ لأنها جزء من مكونات الكلمة المكتوبة التي تشكّل بِنيةً كبرى**. فإذا كان إدغام همزة الاستفهام بهمزة (ال) التعريف الوصلية في أول الكلمة، بعد قلبها ألفًا، إدغامًا واجبًا؛ لأنهما غدوا من مخرج واحد، **فلم لا يكون إدغام الهمزة**: عينِ الفعل، بألف الاثنين، وهما بالطريقة ذاتها من مخرج واحد، **واجبًا أيضًا**، كما في قولنا: "إن أخوي **نشآ** (أو **ينشآن**) نشأة صالحة"؟
- وإذا كان الأمر كذلك فإن همزة **(نشآ)** في المثال السابق أو **(ينشآن)** في مضارع الأفعال الخمسة، **تصبح متوسطة لا متطرفة، تكتب على ألف، وفقًا للقاعدة المطردة للهمزة المتوسطة**: إنها هنا مفتوحة وما قبلها مفتوح، فهي تكتب على ألف (وفي الأصل: قبل الإسناد إلى ألف الاثنين، كانت مكتوبة على ألف؛ لأنها كانت متطرفة ما قبلها مفتوح). **ولكنّ ما بعدها** (ألف الاثنين التي أصبحت جزءا من الكلمة المكتوبة، بعد إسناد الفعل إليها) **واجب الإدغام** بها للسبب الذي سبق أن أوضحناه.
- **إن مثل هذا التحليل المنطقيّ، الشديد التماسك، العصيّ على الاختراق والنقض، لا يترك مجالًا أمام التربويين العرب ليختلفوا على كتابتها بعد ذلك.**

5. ظاهرة الفعل المجهول الفاعل

- **يؤدي بناء الفعل للمجهول، ماضيًا كان أم مضارعًا، إلى حذف الكلمة التي تقع فاعلًا ظاهرًا في الجملة** لا ضميرًا مستترًا عائدًا على كلام قبله، لينوب عنه المفعول به إن كان الفعل متعديًا إلى واحد.
- **فإن كان متعديًا إلى اثنين أو ثلاثة ناب عنه المفعول به الأول.** ففي قولنا: "كُتِبَت الوظيفةُ" ناب المفعول به أصلًا (الوظيفة) عن الفاعل. وفي جملة: " **أُخبِرَ** الطلابُ أن الرحلةَ **أُجِّلَتْ**"، **نائبا فاعلٍ**، أولهُما: المفعول به الأول (الطلاب)، والثاني: الضمير المستتر (هي) في الفعل (أُجِّل)، العائد على اسم إن (الرحلة). **وحذف الفاعل الظاهر أو البارز في الكلام يؤدي إلى اختزال حقيقي لكلمةٍ من الجملة. أما الاستتار الجائز للضمير الذي وقع نائبَ فاعل فوثيق الصلة بظاهرة الضمير المستتر، التي سبق أن تناولناها.**

2.3. سِمة المرونة الكبيرة التي يوفرها نظام اللغة العربية في استعمال الضمائر المتصلة بالنواة (اسمًا كانت أو فعلًا أو حرفًا)

- تتمتع اللغة العربيةِ بمرونة كبيرة في استعمال الضمائر المتصلة، **تمنحها خيارات واسعة جدًا، وغِنىً غير محدود، وقدِرة على التعبير الموجز بعيدة المدى، يمكن أن تصل أحيانًا إلى درجة التباس المعنى**، إذا لم تضبط بدقة حركة عوْد الضمائر. وبيت الفرزدق في مدح إبراهيم بن هشام بن إسماعيل المخزومي خالِ هشام بن عبد الملك بن مروان، الذي عدَّ نموذجًا للتعقيد، مشهور في كتب البلاغة (القزويني، 1932):

وما مثلُه في الناسِ إلا مُملَّكًا أبو أُمِّهِ حيٌّ أبُوهُ يُقاربُهْ

- **والضمائر المتصلة في اللغة العربية مجموعتان،**
- **تختص أولاهما بالاتصال بالاسم أو بحرف الجر؛ لتكون حصرًا في محل جر**. وهي تشكيلة واسعة جدًا تقع في **ثلاث فئات:**

1. فئة تختص بالتعبير عن **المتكلم** (ياء المتكلم، ونا **الدالة على المثنى والجمع من المتكلمين، مذكرَين كانا أو مؤنثَين** المتكلمين)؛
2. فئة تختص بالتعبير عن **المخاطب** (الكاف للمفرد المذكر والمؤنث، والمثنى المذكر والمؤنث، والجمع المذكر والمؤنث)؛
3. فئة تختص بالتعبير عن **الغائب** (الهاء للمفرد المذكر والمؤنث، والمثنى المذكر والمؤنث، والجمع المذكر والمؤنث).

- وتختص ثانيتهما **بالاتصال بالفعل**، وهي أوسع نطاقًا وكمية وخيارات استعمال؛ وتأتي في فئتين تبعًا لوظيفتها في الكلام:

1. ضمائر رفع، تأتي فاعلًا أو نائب فاعل (التاء المتحركة، ونا، الدالة على المثنى والجمع من المتكلمين، مذكرَين كانا أو مؤنثَين، وياء المخاطبة المؤنثة وألف الاثنين وواو الجماعة)؛
2. ضمير نصب، يأتي مفعولًا به (الهاء المعبّرة عن الغائب في الحالات المختلفة المماثلة للهاء المتصلة بالاسم أو حرف الجر).

3.3. سِمة جمالية الخط العربي

- يتمتع الخط العربي بخصائص جمالية مميَّزة جدا، تتطلب دقة ورَهافة وحذْقًا في رسم الحرف وتشكيله على النحو الذي تقتضيه قواعد الخط المقصود وأصوله. وقد ارتبط الخَط العربي، بَصورة غير مباشرة، بفني الرسم والنحت اللذين كانا محظورين في الإسلام، لأسباب ليس البحث في معرض شرحها. إن انصراف المسلمين عن النحت والرسم وما يرتبط بهما من فنون فرعية جعل اهتمامهم الفني يتجه نحو الخط والتفنن في أشكاله، فظهرت بنتيجة ذلك وتطورت، أشكال متعددة منه، لكل منها قواعده وأصوله. ومن أشهر أشكال الخط العربي: 1. **الكوفيُّ**، 2. **والثُّلُث**، 3. **النَّسخ**، 4. **الرُّقعة**، 5. **الديواني**، 6. **الخط الفارسي**.

4.3. سِمة هاء السّكْت التي سبق أن تحدثنا عنها في معرض الحديث عن الحذف.

5.3. سِمة الواو الوصَلية التي سنتحدث عنها في الفقرة الأخيرة في هذا العمل.

6.3. سِمة نون الوقاية. واسمها يدل عليها؛ لأنه اشتُقَّ من وظيفتها في الكلام، وهي **وقاية حركة البناء أو الإعراب في الفعل** (أيًا كان زمانه، وأيًا كان نوعه وموقعه في الكلام)؛ **وفي بعض حروف المعاني إذا** اتصلت بياء المتكلم. **ولا تنطبق هذه الحالة على الأسماء.**

- ولحماية هذه الحركة البنائية أو الإعرابية الأصلية من التغييب، وتسهيل نطق الكلمة النواة، إن كانت **فعلًا أو حرفًا**، لدى اتصالها **بياء المتكلم**، والحفاظ على تماسك النظام اللغوي العربيَ واستقراره، وضمان سيرورة قواعده واطِّرادها على مر الأجيال، ابتكر منطق العرَبيِّ البدويِّ السليم، وحسُّه اللغوي المرهف، ونزعته اللغَوية الجمالية العفوية، هذه النون التي سماها النحويون فيما بعد: **نون الوقاية**؛ لأن علة نشأتها وقاية حركة البناء أو الإعراب في الكلمة الموصولة **بياء المتكلم** من التغييب، وتسهيل نطقها ورشاقته. وبذلك تحافظ الكلمة الجديدة (البنية الكبرى الجديدة) على حركاتها الأصلية كلها، وعلى جمال نطقها وسلاسته، وتستوعب الزائر الجديد **(ياء المَتكلم)** مع متطلبات زيارته الضرورية **(نون الوقاية)**.

وملازَمة نون الوقاية لياء المتكلم، لدى دخولها على الكلمة النواة، فعلاً كانت أو حرفاً، استنادًا إلى ما قدمناه، **تنظّمُهُ أربعة أحكام استخلصها الباحث بعد استقراء نماذج كثيرة ممثّلة لاستعمال نون الوقاية في الكلام العربي:**

1. **وجوب ملازمة نونِ الوقاية لياء المتكلم مع الأفعال** التي تتصل بها، سواء أكانت مبنيةً، كما في الماضي والأمر، وأمثلتهما: **(علَّمَني، وذكَّرَني، وأدَّبَني؛ وعلِّمْني، وذكِّرْني، وأدِّبْني)**، أو معربة، كما في المضارع، وأمثلته: **(يعلِّمني، ويذكِّرني، ويؤدبني)**. **وسواءٌ أكانت صحيحة أم معتلَّة**، في الماضي والمضارع والأمر، وأمثلتهما في المعتل (أمثلة الصحيح ذُكرت): "**أتاني بخبر طيب، فقلتُ له: احمني من الأذى، ولا تدعُني إلى معصية**". ومن أمثلة الصحيح والمعتل، المجزومين المتصلين بياء المتكلم قولُ طَرَفَةَ بن العبد في معلقته (التبريزي، 1974):

فإن **تَبْغِني** في حلْقة القوم **تَلقَني** وإن **تَلتَمسْني** في الحوانيت تَصْطَد
وإن يلتَقِ الحيُّ الجميع **تلاقني** إلى ذِروة البيت الشَّريف المُصمَّد

2. **وجوب ملازمتها لياء المتكلم لدى اتصالها ببعض حروف المعاني**، مثل: (مَنِّي، وعنِّي، وليتَني)؛
3. **جواز ملازمتها لياء المتكلم لدى اتصالها ببعض حروف المعاني** (بسبب الإدغام الأصلي لحرفين متماثلين في الكلمة النواة قبل اتصال ياء المتكلم بها، الذي يسهل نطقها بتحريك المتماثل الثاني بالكسر لدى اتصال الياء بها)، مثل: (أنَّني وأنِّي، وإنَّني وإنِّي، ولكنَّني ولكنِّي، ولعلَّني ولعلِّي)؛
4. **امتناع ملازمتها لياء المتكلم لدى اتصالها ببعض حروف المعاني، مثل الباء**، (لأن الباء في الأصل مبنية على الكسر المناسب للياء)، ومثل: **في وإلى وعلى** (بسبب الإدغام المترتب على دخول ياء المتكلم على كلمة تنتهي بألف مقصورة منقلبة عن أصل يائي، يوجب إدغامها في ياء المتكلم، بعد إعادتها إلى أصلها، وهو الياء، لتاصبح: فِيَّ، وإلَيَّ، وعلَيَّ. والإدغام هنا يقتضي التسكين قبل ياء المتكلم).

7.3. سمة القدرة المدهشة لنظام اللغة العربية على ربط عدد كبير من السوابق واللواحق، (وهي بمجملها وحداتٌ لغويةٌ صَغرى حاملةٌ لمعنى: أسماءٌ أو أفعالٌ أو حروف)، بالنواة (اسما كانت أو فعلا أو حرفا)

- **نحن هنا أمام ظاهرة نادرة، إن لم تكن فريدةً، في عمل اللغات.** فنظام اللغة العربية الذي يسمح بأن **يُشكَّل من كلمة واحدة تقوم بنيتها الفعلية الصغرى المكتوبة، على حرف واحد** (بسبب علل الحذف المختلفة)، **نصا متماسكا في حده الأدنى: المسند والمسند إليه**، ومثالها، كما سبق أن بينا، صيغة الأمر من الأفعال اللفيفة المفروقة، حين ترد في درج الكلام (إ يا سعيد وأيا صادقا)، يتيح في الوقت عينه، وضمن شروط استعمال مختلفة، أن **يشكَّل من كلمة واحدة في حدود بنيتها الفعلية الكبرى المكتوبة أيضا، نصٌّ واسع الدلالة يضم في أقصى حالات اتساعه اثنتي عشرة كلمة** (تبعا لتعريفنا للكلمة في **بنيتها الصغرى**، بأنها: أصغر وحدة لغوية حاملة لمعنى، تتجلى في حدها الأدنى في بنية صغرى غير قابلة للاختزال)، **وتسعة عشر حرفا باعتبار عددها، أو ثمانية عشر حرفا باعتبار ما تشغله من حيز مكاني.**
- **وهذه الطاقة الهائلة المبدعة التي يمتلكها نظام اللغة العربية في تشكيل البنى الكبرى للكلمة الواحدة، تمنح اللغة العربية أفقَ استعمال واسعا جدا، يعطي المستعملين خياراتٍ رحبة جدا في التعبير والتدبير، ويكسب الإنتاج اللغوي غنى وثراء نادرين، يضفيان على الإرث اللغوي وإمكان الخلق والإبداع فيه، جمالا آسرا، وسحرا غامرا، وحيوية تفتقر إليها لغات كثيرة.**
- وسنقدم، فيما يلي، **نماذج للكلمات المكتوبة في اللغة العربية، من أصغر حجم خطّيٍّ لها إلى أكبره على الإطلاق:**

1. **إن نموذج الكلمة التي تقوم بنيتها الصغرى المكتوبة على حرف واحد، نجده فقط في الأفعال: في صيغة الأمر من الأفعال المعتلة اللفيفة المفروقة، مثل: (وأى، وقى، ومى)، بشرط ألا تأتي في آخر الكلام، لوجوب إلحاقها بهاء السكت.** وقد سبق أن عالجنا هذه المسألة. **ولا نموذج للكلمة المكتوبة في بنيتها الصغرى هذه في الأسماء والحروف**؛ لأن الأسماء (الضمائر المتصلة هنا) والحروف (حروف المعاني هنا) المكونة من حرف واحد **لم ترد في نظام اللغة العربية كلمةً مكتوبة أو كلمة منطوقة مستقلة بنفسها في سياق الكلام، بل كانت دائما جزءا من كلمة تشكِّل بنية كبرى.**
2. **ونموذج الكلمة التي تقوم بنيتها الصغرى المكتوبة على حرفين من الأسماء: (مَنْ) و(ما)**، من بين أسماء الاستفهام أو أسماء الشرط الجازمة. **ونموذجها من الأفعال:** الأمر من المثال: **(قفْ)** و**(عدْ)**، والأمر من الأجوف: **(قُلْ)** و**(بِعْ)**، والمضارع المجزوم من اللفيف المفروق: (لم **يفِ**، ولم **يعِ**). **ونموذجها من الحروف:** (**مِن**) و(**عَن**) الجارتين.

3. **ونموذجها، إذا كانت بنيتها الصغرى المكتوبة ثلاثة أحرف:** (**سيف**) و(**سهم**) **من الأسماء**؛ و(على) و(إلى) الجارّتين **من الحروف**؛ و(**درَسَ**) و(**كتَبَ**) **من الأفعال**.

4. **ونموذجها، حين تكون بنيها الصغرى المكتوبة أربعة أحرف:** (جعفر) و(قيصر) **من الأسماء**؛ و(يرجو) و(ناضل) **من الأفعال**؛ و(إذما) الشرطية و(حاشا) الاستثنائية **من الحروف**.

5. **ونموذجها حين تكون بنيتها الصغرى خمسةَ أحرف:** (**هارون**) و(**عثمان**) **في الأسماء**؛ و(**تدارك**) و(**اعتذر**) **في الأفعال**. **ولا نموذج لها في حروف اللغة العربية (لن نذكر الحروف من هنا وصاعداً، إذ لا وجود لحروف تقوم بنيتها المكتوبة، في اللغة العربية، على خمسة أحرف فما فوق.** ولن نشير هنا إلى: **لكنّ**، باعتبار أن الألفَ محذوفة رسماً، والنونَ المشددة تبقى رسماً على حرف واحد كما سبق أن وضّحنا، فتعود الكلمة **ثلاثية الحروف من حيثُ الأثرُ الخطّيّ المكتوب الذي نأخذه بالاعتبار في التصنيف.**

6. **ونموذجها حين تكون بنيتها الصغرى المكتوبة ستة أحرف في الأسماء:** (**مستشفى**) و(**موسيقا**)؛ **وفي الأفعال:** (**استوفى**) و(**استعاد**).

7. **ونموذجها إن كانت بنيتها الصغرى المكتوبة سبعة أحرف في الأسماء:** (**موسيقار**) و(**عاشوراء**). **أما الأفعال فتنتهي بنيتها الصغرى المكوَّنة في حدها الأقصى، عند ستة أحرف.** ولذلك سنذكرها من الآن وصاعداً في **بنيتها الكبرى** التي تضم السوابق أو اللواحق أو هما معاً. ومثالها **في الأفعال** هنا: (**استقبلْتُ**) و(**استبشرْتُ**).

8. **ونموذجها، إن كانت بنيتها الصغرى المكتوبة ثمانية أحرف في الأسماء:** (**فاصولياء**)، و(**استغفارة**: مصدر المرة من: استغفر)؛ أما إن كانت **بنيتها الكبرى في الأفعال ثمانية أحرف فنموذجها:** (**استقبلتُه**) و(**استذكرتُه**).

9. **ونموذجها إن كانت بنيتها الصغرى المكتوبة تسعة أحرف في الأسماء:** (**استعلائيّة**) و(**استنسابيّة**)؛ **ونموذجها في الأفعال إن كانت بنيتها الكبرى المكتوبة تسعة أحرف:** (**أتَكتُبانِها؟**) و(**استقبلتُهم**).

10. وإن كانت بِنيتها الصغرى المكتوبة عشرة أحرف فنموذجها في الأسماء: (استراتيجيّة) و(أرستقراطيّة) باعتبار أن الكلمتين قد عُرِّبتا ودخلتا معاجم اللغة العربية. ونموذجها في الأفعال: (أفستَسقونَهُم؟) و(أفستَعْتَرِفون؟). وعند عشرة أحرف تنتهي بنية الاسم الصغرى؛ وبعد هذا الحد سنذكرها مقرونة بالسوابق أو باللواحق، أو بهما معًا باعتبارها بنية كبرى.

11. وإذا كانت بِنيتها الكبرى المكتوبة أحد عشر حرفًا كان نموذجها في الأسماء: (الاستعلائيَّة) و(الاستنسابيَّة)، وفي الأفعال: (فسيُبادلونَكم) و(فسيُقاسمونَكم). حسبت الياء المشددة (المدغمة) حرفًا واحدًا، لأنها لا تشغل سوى حيّز حرف واحد في الكتابة (انسجامًا مع تعريفنا للكلمة العربية المكتوبة (الفقرة 3.2)، وإن كانت الكلمة من وجهة نظر صرفية مكونة من اثني عشر حرفًا.

12. ونموذجها، إن كانت بِنيتها الكبرى المكتوبة اثني عشر حرفًا هو: (الاستعلائيُّون) و(الاستنسابيُّون) في الأسماء؛ و(أفسيُقاسمونَكم؟) و(أفسيُبادلونَكم؟) في الأفعال.

13. وإن كانت بِنيتها الكبرى المكتوبة ثلاثة عشر حرفًا فنموذجها في الأسماء: (أباستعلائيَّتِهم يتشدّقون؟)، وفي الأفعال: (أفسيُعطونَكُموها؟).

14. وحين تكون بِنيتها الكبرى المكتوبة أربعة عشر حرفًا يكون نموذجها في الأسماء: (أفباستنسابيَّتِهم يتفاخرون؟)، وفي الأفعال: (أفسنستوفيكُموها؟).

15. وعندما تكون بِنيتها الكبرى المكتوبة خمسة عشر حرفًا يكون نموذجها في الأسماء: (أفباستنسابيَّتِهما يتفاخران؟)، وفي الأفعال: (أفسيستسقونَكُموها؟).

16. ونموذجها حين تكون بنيتها الكبرى المكتوبة ستة عشر حرفًا في الأسماء: (أفبأرِستُقراطيَّاتِهم يتفاخرون؟)، وفي الأفعال: (أفسيستسقيانِكُموها؟) و(أفسيستسقيانِكُموهُنّ؟).

17. وإن كانت بنيتها الكبرى المكتوبة سبعة عشر حرفاً فنموذجها في الأسماء (أفباستراتيجيّاتهما يتفاخران؟)، وهو في الأفعال: (أفَسَيَسْتَسْقِيانكُماهُما) أو (أفَسَيَسْتَسْقِيانكُمُوهُما). وهذا هو الحد الأقصى على الإطلاق، الذي يتوقف عنده حجم البنية الكبرى للكلمة العربية في الأسماء.

18. أما بنيتها الكبرى في الأفعال فتصل في حدها الأقصى إلى ثمانية عشر حرفًا، ونموذجها: (أفسَيَسْتَسْقِينانِّكُماهُما) أو (أفسَيَسْتَسْقِينانِّكُمُوهُما).

- إن هاتين الكلمتين تتكوّنان من وجهة نظر صرفية من تسعة عشر حرفًا، ولكننا لا نعُدّ الحرف المشدَّد من وجهة نظر كتابية سوى حرف واحد، لأنه لا يشغل كتابيا سوى حيِّزِ حرفٍ واحد. وهذا هو الحد الأقصى على الإطلاق، الذي يمكن أن يصل إليه حجم الكلمة العربية في الأفعال.
- إن الكلمات السابقات التي شكلناها من سبعة عشر حرفًا مكتوبًا في الأسماء وثمانية عشر حرفًا مكتوبًا في الأفعال هي أطول كلمات يمكن تشكيلها في اللغة العربية على الإطلاق.
- ويبقى هذا القول حقيقة ساطعة، إلى أن يثبت باحث لغوي جديد بالبرهان والدليل القاطع بطلانه.
- وهذه الكلمات ليست كلمات صناعية غير ممكنة الاستعمال، بل هي قابلة للاستعمالِ حين تقتضي الحاجة الظرفية وشروط الاتصال الواقعي ذلك. ولكنّ منطق الاستعمال اللغوي الذي يجنح دائما إلى الطابع السريع والمرن والسهل في التبادل اللغوي الحيّ، يدعونا إلى القول: إن ظروف استعمال هذا النوع من الكلام نادرة. وإن حصل ذلك فإنه يكون بين متخصصين متعمقين في اللغة، ولأغراض البحث والحجاج اللغويين على وجه الخصوص، على نحو ما نقوم به الآن.

- إن هذا المنهج الاستقصائي الشكلي الشمولي الرياضي في ضبط بنية الكلمة العربية يقدّم للباحثين اللغويين على وجه الخصوص، وقائع لغوية تمكّنهم من المقارنة بين اللغات البشرية وطاقاتها الإبداعية الخلاقة. وهذا، على وجه الدقة، ما كنا سعينا إليه منذ اللحظة التي تبدت لنا فيها فكرة هذا البحث، وظلت، مذ ذاك، هاجسًا ضاغطًا مُلحا، حتى لحظة الشروع به، ثم تجسيده بحثًا حيا متأمِّلًا مستقصيا موضوعيا ينقّب في خفايا الأسرار المدهشة للغتنا العَربية؛ لتظهيرها ووضعها بين أيدي المَعنيين بها والمهتمين بنشر كنوزها ونفائسها.
- وإذا كانت البنية الاسمية للكلمة ضيقةَ المدى الدلالي، لأنها تستقي وظيفتها من موقعها في الكلام، الذي يمنحها دوراً محدداً لا يعدو أن يكون، في التركيب الذي قدمناه، وظيفةَ جار ومجرور جاءا في حيز استفهام أوجب تعليقهما بالفعل (يتفاخران)، وأضيف الاسم المجرور إلى هاء الغائب الدالة على المثنى بقرينة وجود علامة التثنية (ما)؛ لتحديد هوية المضاف، فإن العبقري في البنية الفعلية للكلمتين المكتوبتين المتوازيتين الآتيتين: (أفسَيستَسْقِينانّكُماهُما) و(أفسَيستَسْقِينانّكُموهُما)، يتمثّل في أن كلَّ واحدة منهما، تنطوي، من وجهة نظر بنيوية ودلالية، على نَص متكامل غنيٍّ بالمعانَي والدلالات. إن الكلمة الأولى تؤلف بين إحدى عشرة كلمة عربية، والكلَمة الثانية تؤلف بين اثنتي عشرة كلمة عربيةِ، تشكل كلُّ واحدة منها (أي من الكلمات الإحدى عشرة أو الاثنتي عشرة) وحدةً لغوية صغرى حاملة لمعنى، غيرَ قابلة للاختزال (راجع تعريف الكلمة المكتوبة في نظام اللغة العربية).
- وفي هذا يكمن أحد أسرار عبقرية اللغة العربية، وتفرّدها، وقدرتها غير المحدودة على الخلق والإبداع.

- **وإذا فصّلنا مكوّنات الكلمة المكتوبة الثانية المدهشة (أي وحداتها الدنيا الحاملة لمعنى، غير القابلة للاختزال)، باعتبارها تضم أكبرَ عدد ممكن من الوحدات الدنيا في اللغة العربية على الإطلاق، (وهي: أَفَسَيَسْتَسْقِينانِّكُمُوهُما؟، المكونة من 18 حرفاً مكتوبًا) نجد الكلمات الآتية (وقياسًا عليها يمكن تفصيل مكوّنات الكلمة المكتوبة الأولى):**

1. **همزة الاستفهام (أ).**
2. **فاء الاستئناف أو العطف (ف) تبعًا لما يمكن أن يكون عليه سياق الكلام قبلها.**
3. **سين الاستقبال.**
4. **الفعل المضارع: (يستسقي) الذي يشكل نواة البنية الكبرى لهذه الكلمة المكتوبة.**
5. **نون النسوة، ضمير الرفع (الفاعل).**
6. **ألف الفصل بين نون النسوة ونونِ التوكيد الثقيلة منعًا لتوالي الأمثال الثلاثة (ثلاث نونات).**
7. **نون التوكيد الثقيلة التي أكدت فعلا مضارعًا جاء في حيّز استفهام.**
8. **كاف المخاطَب المفرد: المفعول به الأول.**
9. **الميم التي تلحق بكاف المخاطَب للدلالة على جمع الذكور.**
10. **الواو التي سأطلق عليها تسميةً ربما كانت جديدة كليا في اللغة العربية، انطلاقًا من الوظيفة التي أدتها في الكلمة المكتوبة، وهي، بوضوح لا لَبس فيه، تحقيقَ وِصل (الهاء): المفعول به الثاني، الذي هو ضمير متصل** (ومن هنا كانت ضرورة استعمال الواو) **بالفعل النواة** الذي تعدّى إليه.

سأسمّيها إذن: الواو الوصليّة، وأدعو إلى إضافتها إلى قائمة حروف المعاني، لأني لم أجد لها تصنيفا لا عند ابن هشام في **المغني**، ولا عند الهرويّ، في **الأزهية، ولا في سواهما من كتب النحو التي قرأتُها**. وواضح من بِنية الكلمة أن هذه الواو للوصل، وليست لإشباع الحركة قبلها؛ لأنها ليست في موقع الضرورة الشعرية، كقول الشاعر:

وإنني حيثُما يثني الهوى بصري من حوثُما سلكُوا أدْنو **فأنْظُور**

والبيت مجهول القائل. وكقول قيس بن زهير:

أَلم **يأتيكَ** والأنباءُ تُنْمي بما لاقَتْ لَبُونُ بني زياد

الذي أُشبِعَتْ فيه حركة الكسر ياء فصار الفعل: **يأتيك** بدلاً من: **يأتكَ**، المجزوم بلم، والذي يفترض أن تكون علامة جزمه حذفَ حرف العلة: **الياء**، من آخره. والبَيتان من شواهد **مغني اللبيب** لابن هشام (1969، ص114 وص 407).

11. هاء الغائب: المفعول به الثاني.

12. (ما) التي تلحق بالضمائر المتصلة (التاء والكاف والهاء)، لتدلّ على المثنى المذكر أو المؤنث، المخاطب أو الغائب.

- ولتبسيط هذه الكلمة المكتوبة التي شكّلت نصا متكاملا غنيا بالمعاني والدلالات، كما سبق أن قدّمنا، سنفكّكها إلى مكوناتها الأساسية، مستعملين، بتكثيف شديد، الأسماءَ بدائل للضمائر الواردة فيها، ومُبرزين معنى الزيادة في الفعل النواة وما تتطلّبه، مع الحفاظ على بِنيتها المختزَلة في حدها الأدنى وطاقتها التعبيرية التي تمتلكها.
- سنعيد تشكيل معناها في نصٍّ جديدٍ على الشكل الآتي: "أفستطلُبُ إليكمْ هؤلاءِ النِّسْوةُ أن تسقوهنّ هاتَيْن الكأسين؟" (من الماء أو العصير أو سواهما).
- لقد أضفنا فعل (طَلَبَ) الذي يفسر زيادة الألف والسين والتاء على الثلاثي المجرد، وما تَطَلَّبَهُ من إدخال (إليكم)، ليستقيم المعنى، واستبدلنا بالضمائر ما يعبر عنها من أسماء، فبدا النصُّ، في معناه الأوضحِ، وبنيتِه الأكثرِ اختصارا، المكوَّنةِ في الشكل الجديد من ثماني كلمات مكتوبة.
- إن هذه الكلمات المكتوبةَ الثمانيَ (أو تلك الوحدات اللغويةَ الصغرى الحاملةَ لمعنى، الاثنتي عشرة)، قد اختُصِرَتْ جميعُها في كلمة مكتوبَة واحدة هي: (أفسيستسقيْنانّكُموهُماَ).
- أفليست هذه القدرة المدهشة للنظام اللَغوي العربي على ربط عدد كبير من السوابق واللواحق في كلمة واحدة مدعاةً لوصفها، مرة أخرى، بالعبقرية، والمتفردة، والعملاقة؟!

4. مقارنة بين أطول كلمة في اللغة العربية وأطول كلمة في اللغة الفرنسية

- **أطول كلمة في اللغة** العربية: أفسيستسقيناكُمُوهما = 19 **حرفًا** (من وجهة نظر صرفية و18 **حرفًا** شغلت حيّزًا مكانيًا).
- **مركّبٌ فعلي** كثيف وغني بالمعاني والدلالات، يضم **اثنتي عشرة كلمة أو وحدة** لغوية دنيا كما رأينا /
- Intergouvernementalisations = 27 **حرفًا**.
- مركب اسمي فقير الدلالة (**معناه**: تنفيذ سياسات مشتركة بين عدة **دول** = **الاتحاد الأوروبي مثلًا**)، **مكون من 5 وحدات** لغوية صغرى هي:
- (Inter+gouvernement+ali+sation+s)

أَشْكُرُ حُسْنَ اسْتِمَاعِكُمْ.